مُناقشَات

أزمة النقد المعاصر

حين تكلم الاستاذ رجاء النقاش عن أزمة النقد المعاصر * اثر أن يرجع الى حقيقة الفن وقيمته وخلقه وتأثر الواقع به ، واضطر في سبيل ذلك إلى ان يعرض لأزمة الانسان العربي حتى يربط آخر الامر بين ازمة الفن والحياة وازمة الموقف النقدي ، وبعد ان استقرأ نقدنا ـ القديم منه والحديث ـ رأى انه يمر في اتجاهات ثلاثة حاول ان يخرج منها بقيم تتيح للنقد ان يؤدي دوره المطلوب .

والمقال ـ على طوله ـ لم يستطع أن يفي بحاجتنا منه لاسيما وانه يعرض لمشكلة قد تكون ادق مشكلاتنا الفنية . وبحسبه انه يعلن في صراحة انه لا يقصد التعميم ولا يستطيع الاطلاق وانه يمس ـ من بعيد ـ خطوط الازمة العامة دون ان يطيل او يتعمق ، وقد ظل كل شيء رغم اقتراحاته الثلاثة الاخيرة في حاجة الى مزيد من الاقتراحات !

ومع ذلك فالمقال فيه جهد وفيه وقفات واعية لا تصدر إلا عن مثل رجاء النقاش . ولكن كان ينقصه في حماسته ان يكون اكثر اناة واعمق نظرة .. فما نستطيع ان نسكت عن الكاتب وهو يزجي أحكامه بعد سلسلة خادعة من التمهيدات تسلمنا بالضرورة إلى ما يريد .

وسنحاول هنا ان نناقش الاستاذ النقاش في بعض هذه التمهيدات حتى لا نخطىء الجادة إذ ليس يرضيه ـ من غير شك ـ ان تضيع الحقيقة التي نشاركه في تفهمها والحرص عليها ، ويوم نراه مثلاً يؤكد أن قوى الاستعمار عملت عملها في الضغط على إمكانيات العربي بحيث يخرج من صراعه مصابة طاقاته النفسية بالتخدر وملكاته الخالقة بالتجمد .. نقول يوم نراه يفعل ذلك نرده رداً عنيفاً حتى يعلم ان قوى الاستعمار لم تستطع قط ولا تستطيع يوماً ان تزلزل شخصية الفنان ، بل ربما كانت هذه القوى عاملا على شحذ همه وتنشيط ملكاته ، ونستطيع ان نتمثل مصر في العصر الحاضر وفارس في العصر القديم ...

نتمثل مصر وهي تمر بأخصب فترة من فترات الفن ، حتى يمكن ان يقال بصفة عامة إن انتاجها الفني فيه من الغنى والنماء ما لم يكن في انتاجها القديم . ولسنا نستطيع ان نزعم ان هذه النهضة الفنية نمت بعيداً عن قوى الاستعمار ، بل كان تطلع المصريين الى القضاء عليها دافعاً الى ازدهار امكانياتهم وتشعبها فذهبت صعداً إلى مستوى رفيع من الانسانية ولم تقف قط عند هذا الطور الساذج الذي يتشابه فيه الافراد حتى لكأنهم نسخ من كتاب واحد !

في ظل الاستعمار فهم المصريون الحياة . وعلى الرغم من قسوة الحياة عليهم في كثير من الاحيان فانهم ساروا مع الركب ونشطت قواهم ولم يستسلموا قط للهزيمة ولم تصب طاقاتهم الانسانية بالتخدر ، وانتهى صراعهم الى ما نحن فيه الآن من نهضة مباركة قد لا تقاس بغيرها من النهضات الأجنبية . إلا اننا نفخر فيها باكثر من شاعر ونثيه باكثر من كاتب ونزهو باكثر من واحد من اصحاب الفن التشكيلي ، واين نحن الآن من خمسين أو مئة سنة مضت ؟

* راجع عدد نوفمبر ١٩٥٤ من الآداب .

اما فارس فيكفي ألا يكون لها ماض يعدل ما كان للأمم القديمة يوم التقى بأهلها العرب في العراق ثم في أرضهم . على انا إذا لم نتجن وحملنا تراثهم الفني محل التقدير فانا لا نستطيع ان نقرنه بتراث بابل ولا نقول تراث اليونان . ويبدو ان ما بقي في الاسلام من ايام كسرى انوشروان ومن قبله أردشير بن بابك وابنه سابور .. يبدو ان ذلك فيه من الانتحال والوضع الشيء الكثير ، وهذه قضية تحتاج الى شيء كبير من التحقيق والتريث .

وعلى الرغم من كل شيء في ذلك فانه يمكن ان نبدأ تاريخ الفرس الصحيح بمعرفتهم الاسلام ، ولم يكن هذا لحبهم الدين الجديد وإنما رغبة في التخلص من أصحاب الدين الجديد . وأحسوا أن الاستعمار العربي يفقدهم او يريد ان يفقدهم الكثير من شخصيتهم فحرصوا عليها ورعوها وغذوها فازدهرت وأينعت ولم تستسلم عاماً واحداً للتخدر والاعياء ، واذا هي اقوى ما تكون ايام العباسيين على النحو الذي تحدثنا عنه الكتب .

شيء واحد يؤكد ما نقول من الناحية الفنية ، وهذا الشيء هو الشعر ... أوزانه وروحه العامة وافكاره بل موضوعاته ، فاذا كان ثمة تجمد في الملكات لما كانت هذه النهضة الشعرية باية حال !

أما ما يقوله الاستاذ النقاش بصدد غفلة الفرد العربي عن الكشف عن شخصيته فاكثر افتراء على الواقع من القضية السابقة ، لان هذا الفرد منذ قديم كان يعرف نفسه اذا كانت المعرفة شعوره بكيانه الاقليمي . بمعنى ان المصري كان يدرك انه غير الشامي وان الاثنين ليسا هما كالعراقي ، بل لقد كان الكوفي يعلم انه غير البصري والشخصان عراقيان ، ووقف هذان امام ساكن دمشق مناقضين له مفضلين مدينتيهما على مدينته ... ظهر ذلك منذ قديم ، في منتصف القرن الاول الهجري ، حين اشتدت عصبية المدينة بعد التعصب للقبيلة حتى لقد رأينا الأحنف بن قيس زعيم تميم في البصرة يعلن ان أزد هذه المدينة أحب اليه من تميم الكوفة !

وهذيل القبيلة التي عاشت كل جاهليتها في بوادي الحجاز لم تخرج عنها قط تشعر انها في البصرة غيرها في البادية فتتعصب لمدينتها وتدافع عن شخصيتها الجديدة .

ولما كتب العلامة ماسينيون كتابه « خطط الكوفة » وقفنا فيه على مدى الاختلاف الشديد بين هذه المدينة وبين البصرة . واذا الشخصيتان مختلفتان كابعد ما يكون الاختلاف حتى في مذهبيها الكلاسيكيين . فاذا كانت ميزة الكوفة الفنية هي الابداع في التصور وميزتها السياسية انها شرعية وميزتها الفقهية انها صاحبة مذهب الاجتهاد ، فان المذهب البصري يستمد نماءه من الواقع ومال اصحابه الى نزعات اجنبية ، وبعد ان فندوا مذاهب مختلفة من الفلسفات ولاسيما الهندية منها مارسوا البسيكولوجية الاخلاقية وحاول الحجاج ان يفرق بين المدينتين فشبه الكوفة بعذراء لاتجملها حلى وشبه البصرة بعجوز تزينها هذه الحلى .

وتفريق الحجاج يذكرنا بالمغامرات التي وقعت بينهما والتي تدخلت فيها دمشق حتى حفلت الكتب القديمة بالكثير الطريف مما يقفنا على شعور كل مدينة بشخصيتها واحساسها بكيانها المستقل ، ولنقرأ في ذلك كتاب البلدان لابن الفقيه .

على انا اذا حصرنا انفسنا داخل المدينة الواحدة وجدنا الشخصيات الفنية متفاوتة متمايزة ، ففي البصرة مثلاً يتتلمذ التلميذ على استاذه ولكنه لا يكاد يشب عن الطوق حتى تكون له طاقاته الانسانية المتفردة . فبين المتكلمين من المعتزلة لا نلتقي بمتكلم واحد يتفق مع استاذه في المذهب : فواصل بن

عطاء غير الحسن البصري ، والجاحظ غير النظـــام ، ولكل واحد من هؤلاء اتجاه ادبي قلما يتفق مع غيره . ونلتقي في البصرة ببشار ثم براوية وتلميذه سلم ، وبين الرجلين من الفروق ما لا يمكن ان يدل على التلمذة والاستاذية . ثم نلتقي بأبي نواس ، وهو غير اي شاعر بصري ، بل غير اي شاعر ظهر في تلك الفترة التي عاش فيها . ونقف عند الخليل بن احمد فاذا هو بدوره في اتجاهه الفني لا يلتقي باحد على الاطلاق ، ويخرج علينا بانتاج فيه ما يدهش من الابتكار والابداع .

ونعرض لغير هؤلاء فنراهم جميعاً يشعرون بانفسهم ويدركون طاقاتهم ويستغلون امكانياتهم الطبيعية كاحسن ما يكون الاستغلال ، ولم يضطربوا قط ازاء التيارات الحضارية المختلفة ، وهضموا منها ما هضموا ، ومثلوا ما مثلوا وعاشوا متمايزين ساعين في الميادين التي هيأتها لهم استعداداتهم .

فكيف بعد ذلك نزعم ان الفرد العربي غفـــل عن ان يكشف عن شخصيته ؟ أفنظن اننا اليوم دون ما كنا امس ؟ اننـــا اليوم نحيا في عصر يضطرنا الى ان نتماسك من حيث اننا عرب لنا اهداف وغايات، فهل ندعي اننا نذوب بذلك ونتمازج وتضيع فينا المصرية والعراقية واللبنانية ؟ ثم من يقول غير النقاش بعجزنا عن مواجهة اسرائيل وادعاءاتها في فلسطين ؟

كان ينبغي على الكاتب ان يكون اكثر اناة واعظم صبراً على تعمق الحقائق وتفهم التاريخ ...

فاذا عدونا هذا الجانب الى قضية اخرى ساقها الاستاذ النقاش متعجلاً التقينا به في عرضه لفكرة التقدم الفني واقترانه بالتقدم الحضاري مستنداً الى الحقيقة القائلة بان الفن مرصد امـــين لتطورات الانسان . ونحن لا نعترض على اساس القضية ولكنا نسأل ماذا يريد بالتقدم الفني ؟ اذا كان يعني بالتقدم الحضاري مجرد ارتفاع قيمة الانسان من حيث انه انسان في بيئته ؟ أهو يريد ان يكون الفن اكثر تعبيراً عن انسانية الفنان الشاعر بانسانيته شعوراً اكثر من شعور سابقيه ؟ واذا كانت هنـــاك ضرورة لاقتران التقدمين : الحضاري والفني ، فماذا يقول عن الشعر بخاصة اذا قرأ عن ماضيه في بلاد العرب وعن بداوته في بلاد اليونان ؟ أتراه في حاجة الى ان نذكره ان اجمل شعر عربي هو مـــا قاله الجاهليون، وانه ظل يرسف في قيود تخنقه حتى قام المحدثون منا يحررونه من هذه القيود ؟

لقد كان الجاهليون في حالة من البداوة انتجت باحساسها الساذج خير شعر في تراثنا القديم لان اجمل الشعر هو ما صدر عن المشاعر دون منطق ناضج يحكم على الاشياء . اجل ان الشعر تجارب ولكنها تجـــارب النفس وليس تجارب العقل ، وقد عاش من يقول ان اجود الشعر اشده سذاجة واقربه الى البداوة .

ولسنا بحاجة الى ان نستند الى قول هذا القائل وتقدم الحضارة العربية خير دليل على تأخر هذا الشعر ، والا فلنقارن بين مـــا قيل في العصر الاموي ثم في العصر العباسي وما قيل قبل ان يعرف العرب الاسلام .

أما اليونان فقد قالت اروع الشعر في بداوتها ، ولا تزال اليـــاذة هوميروس تعتبر أساس الحضارة الانسانية الفنية ، وقـــاد الشعراء امور امتهم زمناً طويلاً ، وأثروا في اتجاهها الفني فعدلوا عن القصص الى الغناء ثم إلى التمثيل ثم تحول منهم كثيرون الى الفلسفة على فترات شهدت تقدم عقل اليونانيين وتأخر ملكاتهم الشاعرة .

ثم خضعت اليونان للرومانيين الذين ابتنوا حضارة مادية دونها حضارة الاولين بكثير ، إلا انهم لم يستطيعوا ان يقولوا من الشعر ما قـــاله هوميروس على الاطلاق . وتعيش هذه الامة اليوم في عصر تفتيت الذرة ويشعر كل فرد فيها بارتفاع قيمته من حيث انه انسان اكثر مما كان يشعر اليوناني القديم ، ولم يظهر مع ذلك ما يقرب من ملحمة هوميروس واخشى ان اقول ما يعادلها حتى لا أكون موضع ظنة !

مرة اخرى نسأل النقاش :ماذا يعني بالتقدم الفني ؟

إننا لا نختلف معه في ان الفن خير ما يمثل الانسان ، ولكنا نجعل لتقدم الفن اساساً آخر هو ما فيه من أصالة وطبعية . اما ان تقدم الحضارة المادية يتخذ مقياساً لتقدم الفن لظهور آثاره فيه فشيء ابعد من ان يكون مقياساً لارتقائه وتقدمه ، ذلك أن معالم الحضارة المادية لا تدل بأية حال على ان الانسان الذي يأخذ بها يشعر بانسانيته - وبالتالي يبدع الفن المتطور المعبر عن هذه الانسانية العالية - أكثر من شعوره بها قبل .. بمعنى ان تقدمنـــا المادي لا يدل مطلقاً على شدة احساسنا بانسانيتنا !!

واخيراً لنا ملاحظة على ما يعرض له الاستاذ النقاش في النقـد الادبي ، وهي إصراره على أن تكون عملية الابداع مجالاً من مجالات هذا النقد ، وبالاضافة الى ضرورة استبطان انفعالات القارىء واستكناه استجـــاباته الذهنية فاننا نلاحظ ان النقد الادبي يستحيل عملية نفسية خالصة ، والنقـــد الادبي كما نعرف يعني اكثر ما يعني بصور الانفعال وليس بذات الانفعال.

اننا لا ننكر ان يعنى النقد - الى حد ما - بالكشف عما احاط بعملية الابداع ، ولا ننكر ان يعنى بأثر الانتاج في القارىء كأساس للتذوق أول خطوات النقد،الا ان الاسراف في هذا العمل يخرج بنا عن القصد إذا عرفنا ان دراسة الاثر لاثارة المشكلة الفنية هو النقد الادبي على الحقيقة ، ويوم يحاول الناقد ان يربط بين المضمون الفني والحادثة النفسية الاولى يخرج عمله الى دائرة علم النفس وتحتم عليه في هذه الحال ان تكون اصول الاثر او مسودته تحت يديه .

ومن ناحية اخرى نلاحظ ان دراسة عالم النفس شيء آخر غير مـــا يقوم به الناقد، لان هذا إن كان يصدر احكاماً فأنه لايجعلها مطلقة،مدركاً ان النفوس وحدات لا يمكن ان تتشابه ، بل يجعلها نسبية ويردهـــا الى ملابسات الاثر الفني.أما عالم النفس فهو يجنح الى التعميم ويميل إلى الاطلاق ويسعى الى ادراك القوانين النفسية العامة التي تلغي كثيراً من الفروق وتهمل آثار النفوس العبقرية التي يعبر الاثر الفني عن وجودها. وعلم النفس الفردي مهما يكن من أمره فهو يدور في دائرة مغلقة وينتهي آخر الامر الى الوقوف عند حدود ما تمتاز به حيوات الافراد مستقلة منفردة، فكيف لنا ان نربط بعض هذه الحيوات ببعض لنتعرف نسبها والوجود مجموعة من النسب

ولا ننس ان كل الدراسات النفسية للانتاج الادبي لم تصل حتى الان الى المرحلة التي يصل اليها النقد وهما مرحلة الحكم Judgment والتقييم Valuation.

وقد لاحظ الدكتور مندور وغيره ان محاولة « بول فاليري »في تعميم ما ذكره يوم حاضر بالاكاديمية الفرنسية كانت مقتسرة لانه كان في الحق يعنى بنفسه الخاصة وإن كان قد ساق الحديث على نحو عام .

ومهما يكن من شيء فان الاستاذ النقاش - فيما يبدو - متأثر الى حد بعيد بما ذهب اليه كثير من اعضاء الجمعية الفرنسية للفلسفة . وكان ريمون باييز قد حدد رأيهم في هذا النشاط بثلاثة حدود هي الفنان والعمل الفني والشخص المنفعل، وبنوعين من التحويل احدهما من الفنان الى العمل الفني والثاني من العمل الفني الى الشخص المنفعل. ولو ادركنا ان عمل هذه الجمعية فلسفي خالص انتهى بهم آخر الامر الى اعتبار العمـل الفني بوتقة لمحولات ميدانها النفس لرأينا الى أي حد بعدت عن ميدان الادب ونقده، فهل يحب الاستاذ النقاش ان ينحو هذا النحو ؟ خير له ان يدرك ان النقد الادبي ان كان يستعين بضروب مختلفة من المعارف كعلم النفس وعلم الجمـــال فانه لا يستخدمها استخداماً مباشراً لان في ذلك قتلاً له وهدماً للعمل الفني .

القاهرة

احمد كمال زكي

عضو الجمعية الادبية المصرية

هذه السطحية في النقد !

في العدد الأسبق من الآداب كتب الاستاذ محمد روحي فيصل ينقد قصة (مات الملك) لأثرتون ، والتي ترجمها الدكتور سهيل ادريس الى العربية . وكنت احسب ان الأستاذ فيصل سوف يعطي هذه القصة الرفيعة حقها من النقد ، ولكنه – مع الاسف – لم يفعل !.. لماذا ؟

ان ما يظهر لنا ، يدلنا على انه بدأ يقرأ القصة ، وذهنه خال تماماً من أية مقدرات سابقة يمكن ان تعتمدهـــا نفسية القصة ، ليصبح بمقدورها ان تحقق له مشاركة فعالة في تلك التجربة الانسانية التي تحملها . ولهذا اصر على قلب مفهوم القصة وتضخيم الاشياء الثانوية ، وكان في النتيجة ان قدم لنا مسخاً مشوهاً ، وبدأ يبني نقده بالنسبة اليه .

اذ كيف يمكن ان يكون كل ما تعنيه هذه القصة هو (.. مكان الملك الراحل من الانسانية ، وعطفه على الزنوج والخلاسيين ، واتاحة الفرصة لأولادهم في ولوج المدارس كالبيض على السواء) !

لا يا سيدي ... انها ليست قصة هذا الملك العظيم ، ولكنها قصة تلك المخلوقات الانسانية الملونة ، في تلك المستعمرات البعيدة النائية حيث يذهب المستعمر الابيض ليمتص كل شي ، حتى دماء تلك المخلوقـــات الملونة ، هذه المخلوقات التي على الرغم من بدائيتها وإحساساتها الفطرية ، وعلى الرغم من كل ما يفعله الرجل الابيض ، تظـــل في النهاية تتمتع باعتبارها الانساني ، ووجودها الحي المتميز . فغرانت ، هذا الرجل الابيض الذي يتأفف دائماً من مصيره الذي آل اليه .. هذا الرجل ، يموت ملكه ، وهذا الملك يعني بالنسبة اليه ، شيئاً ذا قيمة ! ولذا فهو يتألم ، ولكن ألمـــه لا يبعثه فيه فقط موت الملك ، بل ان موت الملك ، هو النقطـــة التي تقلصت فيها كل آلامه الماضية ، التي استيقظت الان . ولكن شعوره بالالم يتفاقم ، نتيجة إحساسه بانه ليس من يفهم – هنا – هذا الالم الذي يعانيه ، فيتضخم لديه ، ويزداد شعوره بالمرارة ، ولو انه كان هناك في بلاده ، لمـــا كان لموت الملك هذا الاثر لديه ، ولهذا فهو يريد ان يجعـــل هذه المخلوقات الصغيرة السوداء ، تحس شيئاً من اله ، يود من كل قلبه ان ينقـــل اليها جزءاً من هذا الالم ، ولكنه يؤمن بانها لن تفهمه – ولهذا يتعاظم احساسه بالالم !

ولذلك فان ضربه للصبيان كانت نتيجة حمية يجب الاستدعي الاستغراب ، فهي الطريقة الوحيدة التي ينفس بها اله المكبوت .

وأومي الذي قضى ليلة مرعبة عانى فيها كثيراً من الآلام ، يستطيع ان يدرك ان استاذه يتألم ، وهو يعجب ، مع جميع الصبيان ، (لهذه الحمية التي اوحاها اليه موت رجل بعيد كل البعد خارج عالمهم) .

فأومي وغرانت يتألمان ، وغرانت يحس انه الوحيد الذي يتـــألم ، ولكن أومي يحس بألم استاذه ، فيرغب رغبة قوية في ان يزيل عنه بعض الالم ، هذا الالم الذي عاشه بمرارة ليلة البارحة في معسكر النهر ، وهذا الالم المشترك ، جعل اومي يحس بقربه الى الاستاذ ، وبأن عليه أن يفعل شيئاً ، فكان أن فكر في ان يقدم له صديقه أباس ، الحرذون الذي يحبه كثيراً . هذا الحرذون الذي اشمأزت منه نفس الأستاذ فيصل ، يحلق بالقصة إلى نقطة إنسانية رفيعة !

إنها نفس هذا الانسان تريد ان تعبر عن عزائها ، وإحساسها بألم الغير ان تظهر إنسانيتها ، وتلك كانت طريقتها الطبيعية لذلك ، والتي تنبع من كيانها الفطري .

وعندما اراد غرانت اومي ان يردد ان الملك كان اباه ، وانه اعطاه جميع الاشياء الحسنة التي يملكها امتنع هذا ! فهو لا يعرف هذا الرجل البعيد الذي لا يمكن ان يكون اباه ، فهو يعرف اباه تماماً ، ويحبه ، ويتألم لاجله الآن .. اباه الذي مات البارحة في معسكر النهر .

وعندما بدأ غرانت يضربه.. لم يصرخ ! وبعد ان خرجوا جميعاً ،وعندما كان في طريقه الى النهر ، لم يكن يحس انه يحقد على غرانت ، فهو يفهم غرانت تماماً ، وان كان هذا لا يفهمه ! ولكنه يشعر بانـه ضرب بغير عدل ولا حق .

ولكن .. لماذا سحق اومي أباس، وجعـــل يقطعه إرباً، لمجرد خدش بسيط مع انه كان يحبه كثيراً !..

ان ذلك الحد من الانفعال النفسي جعل اومي يسحق أباس، هو نفس الحد الذي تطورت نفسية غرانت اليه ، وجعله يضرب أومي !

ولا يمكنك – بعد ان تنتهي من القصة – الا ان تشعر بالانسان في هذه المخلوقات الملونة وبالوجود الذي يظل يتحرك رغم كل شيء .. هـذا الوجود الذي يمكنه في بعض الاحيـــان ان يكون كوجود غرانت .. الرجل الابيض !

وبعد .. لا ادري هل يظل كل ذلك يعني (مكان الملك الراحل من الانسانية ؟) .

واخيراً لا استطيع الا ان اشكر الدكتور سهيل ادريس ، الذي استطاع ان يحقق بترجمته المشكورة لهذه القصة ترجمة انسانية تزخر بالحياة.. لكل من قرأها من ابناء العربية،فهو واحد من نفر قليل يحسون بمسؤوليتهم في كل شيء نحو هذه الامة .

طرطوس

عبد الله يونس

***

قصة « مات الملك » ...

قرات قصة « مات الملك » في العدد الحادي عشر من «الآداب»وقدرت في الكاتب رقة شعوره واحساسه ، كما قدرت للمترجم اختياره لهـــذه القصة وتقديمها لقراء الآداب ، واذ كنت اطالع المجلة وافتح صفحة « قرأت العدد الماضي » لفت نظري التعليق على قصة « مات الملك » ولم اشعر الا ويدي تقذف بالمجلة .

اننا نأخذ على الانسان ان يتكلم دون روية او تفكير، فكيف بانسان يسجل كلاماً على صفحات مجلة دون روية او تفكير ، وإلا فكيف فسر الناقد القصة هذا التفسير العجيب المنقلب رأساً على عقب ؟

من قال لحضرة الناقد ان الملك الراحل كان انسانياً أو حتى ان له مكاناً مرموقاً في القصة ؟ ان الملك ليس إلا عكازاً أراده الكاتب ليعـــبر به عن احساس الطفل الفطري الصحيح نحو وفاة والده الحقيقي الذي فقد بموته كل أمل في الحياة والحب الحقيقي والذي هو له خير من كل ملك على وجه الارض ثم احساس ذلك المعلم المتبلد رغم مشاركته هؤلاء البؤساء في معيشتهم الخشنة فهو ما زال يعيش في برجه العاجي يفكر في نفسه ورفاهيتها وفي الملك الراحل، وكأن الدنيا لم تخلق الا له وبموته يجب ان تموت ، وهذه المخلوقات ، ماهي إلا ديدان لا تستحق ان تعيش – ومن هي هذه الحشرات السود حتى يتنازل حضرة المعلم الابيض من عليائه ليعلمها ؟ وكم هو متواضع ذلك الملك الراحل الذي اتاح لهذه الحشرات فرص التعلم !

ارجو لحضرة الناقد ان يخرج الى النور ويرى ما يجري حوله من احداث في العالم الخارجي فيتتبع اخبار الماو ماو والزنوج الذين يقدمون ارواحهم في سبيل الحرية ، قبل ان يسمح لنفسه أن يتهم مؤلف القصة بأنه قصر ، لضمور احساسه !! عن الكشف عن عظمة الملك لمطفه على الزنوج .

بيرزيت – الاردن **ندى كيالي**

***

نعم .. احرقوه .. ولكن !..

[رد على كلمة الأستاذ شريف الراس]

•

اراد الاستاذ توفيق حنا فيما كتبه عن الشعب المصري، ان يبين مقومات هذا الشعب وسماته ، فلم يجد إلا ان الشعب المصري صابر، يحب السلام والحرية حبه للجمل والحمار .. ثم خيل اليه ان هذه أشياء عامة توجد في أكثر من شعب فذكر النيل والاهرام .

وأراد الاستاذ شريف الراس ان يرد عليه ، فتجاهل الشعب المصري وزعم أن ليس هنـــاك شعب مصري بل شعب عربي في مصر والسودان وسوريا والعراق ... الخ وهكذا جرّأت كلمة توفيق حنا المتهافتة كل من يريد أن يتهجم على شعبنا ..

إنني أوافق الاستاذ الراس على ان الحدود السياسية – ليست فقط في الأمة العربية بل أيضاً في جميع الأمم الأخرى في العالم – «خناجر تدمي قلوبنا..» واوافقه على أن هناك أمة عربية واحدة .. ولكن كل أمة تتكون من جملة قوميات وشعوب .. لكل منها سماتها وشياتها وتاريخها وأرضها وعاداتها وظروفها الاقتصادية والاجتماعية وأوافقه على أن المصري كـكل عربي «يحقد بعنف وإباء على جنود ملعونين أجانب يقتلون أبناء بلده متى شاءوا .. » ولكن هذا الحقد لن يربطنا فقط مع الشعوب العربية التي أراد الاستـــاذ الراس ان يلغي ذاتها حين يذيبها في البوتقة العربية .. إن هذا الحقـــد يربطنا مع كل المستعمرات العربية وغير العربية .

إن فقراء السودان – والسودان من كيان الأمة العربية – حين يشربون « الدكّاي » ، تضطرب في نفوسهم عشرات الخواطر والصور .. فيحسون نحوها بعلاقة عاطفية مكينة سببها أن علاقة السوداني بالنخلة علاقة قديمة .. وهو يستفيد منها كل يوم تجربة جديدة .. وقد كانت الدكاي إحدى تجاربه.

ونحن في مصر ، لا نشرب الدكاي .. بل ولا نحس بـــأية عواطف نحوها .. رغم أننا ليست بيننا وبين السودان اية حدود جغرافية طبيعية وما ذلك إلا لأن الدكاي لم تدخل في تجربة الشعب المصري .

وقدر الفول المدمس بالنسبة للمصري كالدكاي بالنسبة للسوداني: شحنات من التجارب والأحاسيس .

إن كل شعب – وأعني بالشعب طبقات المحكومين من كل وطن – يكون تاريخه من صراعه الطويل في آلاف السنين ، في سبيل الحصول على حقوق وحريات ، وفي سبيل التغلب على الاجهاد، وفي سبيل تحسين ظروفه الاقتصادية.

وهو في صراعه هذا سيمر بتجارب ، ويسلك سبلاً لم تسلكها شعوب غيره.

وستكون « ما عليش . ويا سلام ، وفركة كعب .. » شيئاً عميقاً جذرياً، ينبع من أعماق تجارب مررنا بها .

وستكون النكتة المصرية القوية التي تهز الحكام وتسخر بهم كما فعلت مع الحاكم « قراقوش » .

وصبره الذي ينتهي حتما بانفجار ..

انفجار استطاع مرة أن يبيد حكاماً حكموه مئتي عام واعني بهم (الهكسوس)

وظن الأستاذ الراس أنه يستطيع أن يحقر من شأن تاريخنا .. فانتهز قولنا إن الأهرام قد بني على الظلم .. فقال « إن عند (المواطنين العرب في مصر) (كذا !..) عنفاً أحمر ، وثورة شامـــلة ستهدم الهرم ذات يوم .. »

إن الأهرام جزء من تاريخنا الأسود .. ونحن نحافظ على تاريخنا على إجماله وستكون الأهرام في المستقبل مصدراً من مصادر دخلنا القومي ...

وصمة الظلم والغبـــاء ترامت في الصحاري، فصورت اهراما

سيأتي السائحون ليشاهدوا كيف فني الفراعين والسلاطين وبقي الشعب المصري قوياً. إن الشعب المصري هو الذي بنى سجن مصر والأريزونا واهرام الجيزة .. وهو يوضع في الأولى ، ويحرق نتاج عرقه في الثانية ، ولا زالت في قلبه ونفسه من الثالثة قروح وجروح .

نعم احرقوا هذا الوتر الذي يرى في الشعب المصري قشوره ويـــترك جذوره .. واحرقوا ايضاً الوتر الذي يلغي قوميتنا .

هناك وتر لن تستطيعوا إحراقه .. هو الذي يترنم بالقوميـــة المصرية والشعب المصري في تجاربه وتاريخه ومجتمعه .. فاذا ما احرقتم هذا الوتر.. احرقتم شعباً بأسره .

القاهرة **ابراهيم شعراوي**

« اسرة الفن الحديث »

***

صدر حديثاً

غارسيا لوركا

في

عرس الدم

دراسة وترجمة
الدكتور علي سعد

أطلبوه من جميع المكتبات ومن

دار المعجم العربي

بيروت ص . ب ٣٣٦٩

حول الشعب المصري !

لم يقرأ الاستاذ محمد روحي فيصل كلماتي التي قلت بصراحة وصدق وفهم دقيق لموقفي العلمي انها محاولة اولى – اذ ان مقـــامي كواحد على اثنين وعشرين مليوناً من المصريين يعطيني هذا الحق في هذه المحاولة – وقلت ان هذه المحاولة الاولى لا لدراسة كما فهم الاستاذ متسرعاً بل لدراسة تخطيطية اي انها مسودة اولى – لم يقرأ الاستاذ كلماتي قراءة هادئة مطمئنة كما يجب ان يفعل الانسان حين يتصدى لنقد عمل غيره بل سار في قراءاته قفزاً كما يفعل الكونجرو ذو الساقين الاماميتين القصيرتين ولا اعتـــذر لهذا التشبيه اذ الواقع اني اقصد الحركة فقط لا المتحرك .

الواقع اني سخرت من عملاقية الاستاذ التي اعتمد عليها في هذه النظرة السريعة العابرة ادعاء وتعالمـــاً على مجهود اديب ناشيء ثم يكتفي بعد هذه النظرة المتعـــالية بقوله : « ان خطرات اليوم لا تؤلف وحدة .. وفي هذا كفاية ! »

ولم افهم ولن افهم معنى كلمته المزعومة في قوله : « فالى ان نظهر على هذه الدراسة المزعومة ..» وهل قلت يا استاذ انها دراسة ؟.. وهل يمكن ان تخرج دراسة عن شعب عـــاش على هذا الكوكب آلاف السنين في كلمات من اقل من صفحتين ؟.. ان كلماتي عبارة عن رسم كروكي .. تخطيط سريع احببت ان ادعو به كل مصري .. بل كل عربي .. بل كل انسان ان يعرف نفسه بنفسه .. أيكون الوعي عيبـــاً .. وهل الوعي الذاتي جريمة في قرن الشعوب وقرن الحرية المتقدمة كاعصار ؟

الناقد الناقد هو الذي يعتمد على وعي يقظ متنبه وعلى احساس دقيق رهيف وعلى قلب كله حب واعجاب ومشاركة .

والواقع الذي اقرره وانا سعيد مطمئن اني قرأت كل كلمات الاستاذ من اول « نظرت في العدد المـــاضي من الآداب ..» حتى آخر كلماته « وموعدنا ان شاء الله مع سامي عطفه في محـــاولة ثانية خير بياناً واوضح قصداً» ووقفت عند اعجابه بانسان ادونيس حتى اعرف معايير نقده فوجدت انه لو كان قد فهم حقاً كلمات ادونيس لفهم كلماتي ..

القاهرة — **توفيق حنا**

***

«لم يعد هناك رجال» ...

قرأت في العدد الماضي من الآداب قصة « لم يعد هناك رجال » للاستاذ سعد رضوان .. ولا اخفي انها قصة عميقة في المعنى تعالج قضية من اهم قضايانا الشرقية معالجة دقيقة واعية .. لاسيا ذلك الصراع التقدمي بين بطل القصة وزوجته التي لا تلائم تربيتها الرجعية تقدم المجتمع وتطوره ...

على ان ما أثار في نفسي الحيرة ، ان البطل كان متناقضاً في دفاعه عن التقدم والمدنية وكان سلبياً كما اظن في الفكرة والتوجيه . وربمـــا كان لهذا التناقض اثره القوي في القصة لأنها – اي القصة – بنيت عليه ..

وعلى الاستاذ سعد ان يشرح لنا معناه وإلا فكيف نفسر قوله في نهاية القصة حين اصوت الأم – عايدة – ان تصحب ابنتها وقرينها الى المنزل ابتغاء المحافظة على الشرف .. فيصرخ الزوج « ماذا جرى لك يا عايدة .. لماذا لا تتركيهما يعملان كما يجبان .. ان سليمان رجل ويعرف الذي فيه راحته ..» ثم موقفه الغريب في بدء القصة .. « في قهقهاته التي تعلو شيئاً فشيئاً ... ثم شعرت بألم حاد .. وصرخت ... وبسم سيدها وهو يداعب ذقنها ... ثم حمل منديلاً بلانه دماء وخرج الى حيث كانت امها .. »

فما هو هذا الزوج التقدمي ؟ هل يعلل الاستاذ السبب في ان الوقت الذي تم فيه الزواج كان صالحاً لاجراء مثل هذا التقليد الأعمى ؟ فأظهر شرف زوجته بطريقة فجة بدائية ؟

اننا نطلب توضيحاً .

وجيه رضوان

***

دفاع عن الشعر المصري الحديث

ربما كانت تلك الدراسة التي أرخ فيها الاستاذ محمود العالم للشعر المصري الحديث ، أول محاولة جدية ، نحو دراسة موضوعية، واعية، تخضع لقاعدة فكرية معينة ، ذات مفاهيم واهداف محددة ..

ولما لم يكن الطريق الى دراسة جديدة كهذه ، بالسهل المتضح ، فقد كان من الطبيعي ان يضطر الكاتب – اي كاتب – بازائه الى حشد كل طاقاته وامكانياته ، الفكرية والثقافية ، لكي يصل الى غاية فيه ، وهكذا امكن الاستاذ العالم ان يحقق غايته، من خلال هذا الطريق الطويل ، الملىء بالمزالق والمنحنيات .

والذين قرأوا هذه الدراسة القيمة بحق، وقفوا أمام ظاهرتين واضحتين تميزت بهما ، اولهما تلك العملية التحليلية الواعية، لكافة الظروف والملابسات السياسية والاقتصادية التي سادت القرن التاسع عشر ،والتي لم يكن الادب المصري حينذاك الا انعكاساً صادقاً لها،وإن كان قد تلقفها من جانب واحد، هو جانب الطبقة الوسطى ، التي كانت تمثل الجيل الصاعد في الحياة الطبقية المصرية ، في ذلك الحين .

الى كل اديب ، الى كل مدرس
الى كل طالب ، الى كل صاحب مكتبة

الاغاني

الكنز الذي كان ولا يزال منذ قرون عماد الدراسات الأدبية وأوسع مرجع ادبي وفني خطته يراعة
ابي الفرج الاصبهاني
و
لسان العرب

المعجم الذي لا يستغني عنه كل دارس ، وأفضل أثر خلد العالم اللغوي المشهور
ابن منظور

كتابان لا تستغني عنهما اية مكتبة

تخرجهما دار الفكر ودار مكتبة الحياة ، باجزاء متسلسلة وبتحقيق دقيق ، وطباعة انيقة واسعار زهيدة

وبالرغم من ان هناك بعض النقاط الدقيقة التي تستوجب المناقشة ، إلا انها ليست من هدفنا في هذه الكلمة،ولذلك فسنعبرها الى الظاهرة الاخرى حيث نرى الاستاذ الكاتب ، يحاول ان يتخذ من نفس القاعدة الفكرية الجماعية ، التي ربط فيها بين واقع الشعب المصري الاجتماعي ، وواقعه الادبي ، مقياساً فكرياً فردياً ، يمكن ان ينكمش أو يتمدد ، وأن يضيق او يتسع ، وان يتخذ اشكالاً تطول او تقصر ، حسبما يرى، ومن ثم فقد تسنى له أن يسلط اضواءه على جانب دون آخر ، بل وفي أغلب الحالات على شاعر دون آخر ، كما هو شأنه في الاول بالنسبة لشعراء كمحمود ابو الوفا ومحمود حسن اسماعيل ، وفي الثاني بالنسبة لشعراء كعبد الحميد الديب، وعبد المعطي الهمشري ، وصالح الشرنوبي ، وكان ذلك معناه في حساب الحقيقة ، وفي حساب الاستاذ الكاتب ، هو ان اضواءه يجب ان تتركز ، وبقوة حادة ، حول نفر من الشعراء ، يعرفهم، ويغوص الى اعماقهم الفنية، ويستعين بهم ليكونوا نقط ارتكاز مستقرة ، يستطيع التنقل بينها الى هدفه الأخير !

وليس من شك في أن عملاً نقدياً ما تتخطفه العجلة ، أو التحيز ، او اللامبالاة ، لا يمكن ان يكسب الا انتصارات وقتية او موهومة .. هذه الكلمة لا بد منها للخلوص الى مناقشة تلك النتائج التي توصل اليها الاستاذ العالم ، والتي لخصها في ست خواص عامة ، تكون شخصية الشعر المصري الحديث (يراجع المقال) .

والحق ان هذه الخواص الست ، ماثلة في الشعر الحديث بعامته ، سواء منه المصري ، او العراقي ، أو حتى السوداني (وقد فات الآداب ان تحدد له مكانه من عددها الممتاز) ، ذلك لأن (المظهر الجدي للصياغة الجديرة، هو الخروج من التقريرية الى التعبير بالصور تعبيراً بنائياً) ، وذلك ايضاً (لأن التفعيلة الواحدة ، وانعدام القفية ، والقفية المتراوحة ، والحوار الجاني ، والتعبير بالصور ، كلها وسائل صياغة متكاملة لأبراز المضمون ابرازاً فنياً) .

خاصية واحدة متفردة ، لم يتسم بها بعد شعرنا المصري الحديث كله ، بما فيه ذلك الشعر الذي نص عليه الاستاذ ، تلك هي خاصية (اشتراك الشاعر الفعلي في عمليات الكفاح بين مواطنيه) اللهم الا اذا استثنينا كمال عبد الحليم ، ومكافحاً آخر عثر دونه قلم الكاتب،ونعني به عبدالرحمن الخميسي..

لست ادري هل اكون مغالياً فيما لو اكدت للاستاذ العالم ، ان الخاصة الوحيدة التي يمكن ان يكون قد اكتشفها فعلاً ، انما هي « صياغته الجديدة » حيث ان الاستاذ العالم يعتقد مع الشاعر الجديد ..«انه قد قضى على الشكل نهائياً ..» اي ان القضية الشكلية فحسب : هي التي تمثل القيمة الاساسية في العمل التعبيري ، والقيمة التقديرية في العمل النقدي عند الاستاذ العالم .. وهكذا يناقض الاستاذ ما قرره بنفسه قبل سطور من ان (هناك طائفة من الشعراء المحدثين ، تستخدم التفعيلة الواحدة اساساً ، وتخفف من حدة القافية ، وتبقى صياغتها مع ذلك تقريرية جامدة ، تستطيع ان تجمع مقطعاتها فتركب منها قصائد قديمة !)

ومن هذه الزاوية بالذات ، ينصح الاستاذ العالم للفيتوري والعنتيل (بالتخلي عن قيود الشكل التقليدي ، واستيعاب الآفاق -اي الاشكال- الانسانية الجديدة ، والمشاركة في تعميق آفاقها الرحبة) .

والحديث عن النفس صعب وأليم ، غير ان كلمة مسموعة، لناقد مكين، في موقف بارز ، لا يمكن ان تترك لتعبر دون تركيز مستوعب،والا فان المنطق الذي يجيز للاستاذ العالم، ان يقرر ان (الفيتوري يعد امتداداً لمدرسة ناجي) هكذا وبدون ركيزة ما ، سوى خاطر يومض في خيال الناقد.. نفس هذا المنطق يجيز لقائل ما ان يقرر ان الاستاذ محمود امين العالم ، يعد امتداداً لمدرسة ابن قتيبة ، على ما بينهما من فروق !

ظاهرة اخرى عامة ، لا بد من الاشارة اليها ، وهي شيوع الاحكام غير المفسرة او المحددة ، في ثنايا الدراسة ، فمدرسة ابولو جميعها (تمارس التجارب الذاتية ، وتمضغ الابعاد الباطنة ، دون ان تعرف القيم الانسانية العامة) ، و (محمود حسن اسماعيل نمط كامل لانفصال الشاعر عن الحياة) وفوزى العنتيل (ممزق بين فردية منطوية معزولة ، وفردية منضوية) ومحمد الفيتوري (يعيش داخل مأساته الخاصة).. وفي هذه القصة الاخيرة، نحسب انه يعني تلك المجموعة الشعرية التي تتحدث عن مأساة الانسان الاسود ، مأساة الملايين من السود الافريقيين موزعين في قارات الارض جميعاً ، ومأساة الالوف من السنين تعبر بهم ، وهم حيث هم من تقدير الحياة والانسانية والتاريخ .. ورغم ذلك فهي مأساة الفيتوري الخاصة ، كما يصر الاستاذ الكبير العالم !

ولكن من يدري، فلعل عذر الاستاذ في انه بحث عن القومية المصرية، في شعر الفيتوري ، فوجد بدلها القومية الافريقية ، فاختلط عليه الرأي ، فظنها انطواء الانسان الاسود على نفسه ، ومن هنا فقد حق لميزان النقد ان يميل في يديه الى حد الاختلال ..

ولكني اسارع فاطمئنه الى انه لو عاد فبحث مرة اخرى عن القومية السودانية في شعر الفيتوري ، فلن يجد الا قوميته الافريقية ، ولعله حينئذ لن يملك الا ان يلقي الميزان من يديه باحثاً للنقد عن ميزان جديد .

القاهرة — **محمد الفيتوري**

صدر حديثاً

القسم الثالث من

المعجم

تأليف

العلامة عبد الله العلايلي

دار المعجم العربي

بيروت ، ص.ب ٣٣٦٩